الدكتور سامي الدروبي

رئيس مجلس الإدارة
وزير الثّقافة
الأستاذ محمَّد الأحمد

الإشراف العامُّ
المدير العامُّ للهيئة العامة السّوريّة للكتاب
د. ثائر زين الدين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
د. جمال أبو سمرة

الإخراج
رفاه الحو

لوحة الغلاف
رامز حاج حسين

الإشراف الطّباعي
أنـــس الحـــســـن

شباط ٢٠١٧

الدكتور سامي الدروبي
مسيرة حياة

بثينة الخير

الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - مديريّة منشورات الطّفل
وزارة الثقافـة - دمشق ٢٠١٧م

مقدّمة

حين وقع اختياري على الدكتور سامي الدروبي لإلقاء الضوءِ عليه بوصفِه مبدعاً سوريّاً، كان ذلك عن طريق المصادفة؛ فقد كان لهذا الاسم وقعٌ خاصٌّ، وكان له صدى في ذاكرتي في سنيّ الدراسة؛ إذ كان اسمُهُ يتردّد كثيراً في الأوساط السياسيّة والأدبيّة والفكريّة في الفترة ما بين الستينيّات والسبعينيّات.

ولمّا اتخذتُ القرارَ فاجأني الأرشيفُ الذي كُتبَ عنه؛ فمن طالبٍ إلى مدرّس إلى أستاذ جامعيّ، ومن ثَمّ إلى مستشار ثقافيّ ومُمثّلٍ لسورية في الجامعة العربية فسفير فوزير، إضافة إلى كونه مفكراً وأديباً ومترجماً؛ فلم أتـردّدْ لحظة، وحصلتُ على ما يكشفُ جوانبَ هذا المبدعِ الموسوعيّ الذي فرض نفسَه على الثقافة والأدب والسياسة التي يجبُ أن يعرفَها الناشئةُ، ويطّلعَ

على بعض ما قدّمه هذا الأديب لوطنه سورية وللوطن العربي، وللإنسانية عامة.

تطرّقتُ في هذا الكتاب إلى جوانبَ من حياته الغنيّة في مجالات التربية والفكر والأدب والدبلوماسية، وعرضتُ حوادثَ ومواقفَ وآراء تبيّن كيف كان يتصرّف حيالها بحكمة وجرأة استناداً إلى كتابٍ أعدّته زوجتُه السيّدة إحسان بيات التي رافقته زوجة وشريكةَ حياةٍ حلوةٍ ومرّة، وأُمّاً لابنتين وابن، تناولت فيه علاقاتٍ ولقاءات، وما كتبه كتّابٌ وأدباءُ كبار ونقّادٌ وسياسيون وإعلاميون تناولوا شخصيّةَ هذا الرجل وأدبَه وفكره، فالدكتور سامي الدروبي علمٌ من أعلام سورية في العصر الحديث؛ يستحقُّ منّا التقدير والاحترام، وأن نضعَ شيئاً من سيرته بين أيدي أبنائنا اليافعين لتعرُّف شخصيةٍ نضاليةٍ مقاومةٍ جعلت من حياتها عملاً وكفاحاً من أجل الوطنِ، ورفعِ اسمِه عالياً.

الدكتور سامي الدروبي مسيرة حياة:

قال فيه الرئيسُ حافظ الأسد: «ليس الشهيدُ هو الجنديَّ الذي يُستشهدُ فقط؛ بل هناك من يُستشهدون في سبيل العمل لخير أمّتِهم، ولا يقاسُ عمرُ الإنسان بعدد السنين التي يعيشُها، إنما يُقاس بعمله وعطائه؛ لذلك أحسبُ أن عمرَ المرحومِ مئةَ سنة».



الدكتور سامي الدروبي مع السيد الرئيس حافظ الأسد

ولادته ونشأته:

التقت سيدةٌ تجاوزتِ التسعين من عمرها الدكتورَ سامي في أثناء زيارتِه لحفيدِها رئيس النادي الحمصيّ في سان باولو، وحين سمِعتْ لفظَ الدروبي، قالت:

- «يا ولدي لولا بيت الدروبي ما كُنّا هنا على قيد الحياة»...

وسرَحَتْ ببصرها إلى أيام الاحتلالِ العثماني البغيضِ حيث أشعل الفتنَ الدينيةَ والطائفيةَ، وعمد إلى ارتكاب المجازرِ بحقّ الأقليات عام ١٨٦٠م، وكان مختار الدروبي جارَنا، وحينها فتح لنا بيتَه، وآوانا به وحمانا كلَّ تلك الفترةِ العصيبة إلى أن تمكّنا من المغادرة، وهذا البيت تحت السيباط[١] في باب الدريب في حمصَ، فمن يكون لك؟ أجابها:

١- السيباط: سقيفة بين دارين تحتها ممرٌّ نافذ.

- إنّه جدّي؛ وفي هذا البيت رأت عيناي النور.

في هذا البيت العريق، وُلد سامي في ٢٧/ ٤/ ١٩٢١م لأبوين كريمين، وأسرةٍ عُرفت بالوطنية والحسّ الإنساني.

درس الابتدائيةَ والثانويةَ قسم أوّل ـ في حمص، وأكمل القسمَ الثاني في مدرسة تجهيز دمشقَ ـ «ثانوية جودت الهاشمي حالياً».

في المدرسة تميّزَ سامي بين رفاقه بالهدوء والعقلانية، وبُعدهِ عن الأحقاد والمنازعات وطيش الشباب، وبمشاركتهِ في العمل الوطني ضدَّ الاستعمار الفرنسي، وعُرف في المدرسة بحبّه للغة العربية، وافتتانهِ بسحر الكلمة وجزالةِ الأسلوب ما عكس حبّاً لتراثها الذي غدا مقدّساً بالنسبة إليه.

كان محبوباً من رفاقه، وأحبّ دوامَ الألفةِ والتعاونِ بينهم، وكَرِه النزاعَ والشقاق، ولم يحدثْ أن تشاجرَ مع أحدِهم مدّةَ الحياة التي عاشوها معاً. وصادف أن حدث مرةً نزاعٌ بين طالبين من رفاقه في المدرسة؛ واشتدّ اللكمُ والضربُ في قاعة المهجع حيث يبيتُون جميعاً، وكان سامي وحدَهُ غاضباً؛ فما إن تدخّل الموجّهون وحسموا النزاعَ حتّى بادر إلى لوم الطرفين، وانتقد بشدّة موقفَ المُتحمّسين، وراح يُضفي من هدوئه ورقّة حديثِه ما هدّأ ثورةَ النفوسِ وأخجل الجميع.

هو سامي طالب المدرسة الشاب الطموح المتطلّع إلى المستقبل؛ لا تأخذُه الخلافاتُ ولا النزاعات، القادرُ على ضبط النفس، وحسمِ المواقفِ واتّخاذ القرارات في اللحظات الحرجة.

تابع دراستَه في دار المعلّمين العليا لمدّة عامين، عُيّن

بعدها معلماً في قرية المخرّم في ريف حمصَ، ثمّ أُوفد إلى مصرَ لمتابعة دراسته عام ١٩٤٣م، وحصل على إجازةٍ في الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الفلسفة وعلم النفس. عُيّن مدرّساً ثم معيداً في جامعة دمشق... أُوفِدَ بعدها إلى باريسَ، فحصل على شهادة الدكتوراه ليكون أستاذاً في كلية التربية.

تروي زوجتُه السيدة إحسان بيات قصّةَ زواجهما بعد لقاءٍ بينهما في مكتبِ الدكتور عبد اللّٰه عبد الدايم... حيث دخلت لتعيدَ كتاب «الطاقة الروحية» ترجمة الدكتور سامي الدروبي، كانت حينها تعمل في الإذاعة، وطالبةً في الكلية التي يدرِّسُ فيها، وكان يمكن لهذا اللقاء أن يكونَ عابراً؛ إلا أنَّه لم يكن كذلك؛ فقد أعقبه خطوبةٌ وزواجٌ بمباركة من الدكتور عبد اللّٰه عبد الدايم، ثمّ مديرةُ مكتب الدكتور سامي وشريكةٌ

في أعماله؛ فكان حينما يترجم كتاباً يملي عليها، وهي تكتب له باللغة العربية، وأنجبت ابناً وابنتين.

الدكتور سامي الدروبي أباً ومربياً:

عُرف عنه أنه زرعَ في أبنائه وطلابِه كلَّ الحبّ، حبِّ المعرفة وحبِّ العطاء، وحبِّ الآخر وحبِّ الوطن. وما ذكرته زوجتُه قبيلَ موته يدلّ على عمقِ أبوّته، وكيف كان يتابع أمورَ أبنائه؛ فيزوّدهم بخبرته وحكمته ويُحمّلُهم رسالتَه، ويفسح لهم المجالَ في بناء شخصيّاتِهم مستقلةً، وتكوينِ آرائهم ورؤيتِهم للحياة؛ تقول:

«جرى هذا في أواخر أيامه؛ بل وقبيل وفاته، كنتُ مع ولدينا ليلى ومصباح؛ وسامي ممدّدٌ على السرير يناقشُ ليلى في المادة الأولى التي ستُمتحَن بها في ١٤/٢/١٩٧٦م، كان وجهه مشرقاً، وبصوته عذوبةٌ،

وبكلامه حكمةٌ، وكنّا نتابع ذلك باهتمام؛ فإذا بالمنية تنقضّ عليه من دون رأفة بنا بتاريخ ١٢/٢/١٩٧٦م، قبل بدء امتحان ابنته بيومين... كان يصارعُ من أجلنا؛ من أجل العطاء للإنسان والوطن، وكان يضيءُ طرقَ الثقافةِ والوعيِ القومي والاجتماعي... كان وشبحُ الموت مخيّماً يعلِّم الحكمةَ لولديه، وينشر البهجةَ في بيته، ويقهر المرضَ بإرادته، فلا نراه إلا وقد قام إلى مكتب صغير وُضع إلى جواره ليصحّح جملةً كان قد كتبها في ليلةٍ سابقة».

بهذه الروح كان يتعامل مع أهلِ بيته، وبهذه الأبوّة وقبيل وفاته يراجعُ مع ابنته مادةَ الامتحان، فيخفّفُ عن أسرته عبءَ المرض؛ ويزرعُ فيهم الإرادةَ وتحدّي الصعاب، والتفانيَ في العمل، والأملَ بالمستقبل.

انطبق هذا على سلوكِه مع طلابه الذين كان يرى فيهم أبناءً له، فعمل على توجيهِهم تاركاً فيهم أثراً

يدفعُهم إلى تغيير أنفسِهم وتطويرِ ذاتهم؛ وما ذكره محمود أبو خضور أحدُ طلابِه يؤكّد ذلك، قال:

- «كان ذلك في العام ١٩٦١م، وكان الفحصُ الشفهي في كلية الآداب بجامعة دمشق لا يجتازُه إلا طويلُ العمرِ، وكانت المادةُ علمَ النفس التجريبي، والأستاذُ الفاحصُ الدكتور سامي الدروبي... دخلتُ، وأشار إليّ بالجلوس ثم سألني: ماذا قرأت؟

أجبت: المنهاج...

تساءل: المنهاج فقط؟

أجبت: وقليلاً من الروايات والدراسات.

قال: أيّ الدراسات؟

قلت: دراسة حول العواطف الغامضة.

قال: وطبيعي أنّ هذه الدراساتِ أشارت إلى أن الموتَ والحبَّ يُصنّفان ضمن هذه العواطف؛ لكنّ تقسيمَها يندرج تحت مقولتين؛ عواطفُ فاعلة وعواطفُ منفعلة وهذا تصنيفُ سارتر...، وأنا أريدُ رأيَك أنت...

ولزمتُ الصمت، ووقفَ على سبب صمتي...

تجاوز ذلك متسائلاً: هل الحبُّ أن نتطلّع في وجه بعضِنا أو أن نتطلّع معاً إلى وجهة واحدة؟

أجبت: أن نتطلّعَ معاً إلى وجهة واحدة...

سألني: أين قرأت هذه الجملة؟... إلى هذا الحدّ كان دقيقاً...

قلتُ: لا أذكر بالضبط؛ في أرض البشر أم في بريد الجنوب؟

قال: هل هناك شيءٌ آخر حول الحبّ؟

وثانيةً لزمتُ الصمتَ، ووقفتُ موقف المتأدّب، ولم يخطر ببالي أنّه كان يريد رأيي، وأنه سوف يؤاخذني على موقفي هذا، وبعد لحظةِ صمتٍ قصيرة، قال لي:

- تحملُ المادةَ؛ وبيّن لي السبب بقوله:

- عندما سألتُك عن الحبّ، لم توضّح لي ارتباطَ الحب بالموت والزمنِ، ولم تقف الموقفَ العلميّ؛ معك ثلاثةُ أشهر في الصيف، تراجعُ المادةَ من جديد.

رتّبْ نقاطَ المناقشةِ في ذهنِك بشكلٍ أوضح، وجرّبِ الاستفادةَ من قراءاتك وآراءِ الآخرين، ثمّ حاوِلْ أن يكونَ لك رأيٌ... تَمثّلْ... ناقِش... دافِعْ عن آرائك الشخصيّة.

خرجتُ محبَطاً، ولم أُدركْ عمقَ هذا الموقفِ التربويّ

إلا بعد التخرّج؛ أن نتمثّلَ جيداً ما نقرأ، وما زلتُ إلى الآن.

بهذه الطريقة كان يحثُّ طلابَه على المطالعة والقراءة الناقدة، وأن يكون لهم رأيٌ مستقلّ يدافعون عنه، ويناقشون فيه بالحُجّة والبرهان؛ فكان معلماً لا يكتفي بتلقين المعلومةِ، والطالبُ أمامه مستمعٌ يتلقّاها ويردّدُها؛ بل كان في طريقة تعليمه موجّهاً ومرشداً يوضّحُ موضعَ الخطأ، ثمّ يصوّبُه مبيّناً السبب، ويسعى إلى أن يكونَ الطالبُ محاوراً قادراً على المناقشة، وأن يرتّبَ أفكاره، ويستثمرَ قراءاتِه في الدفاع عن موقفه في الحياة، وهو ما كان يهدف إليه في بناء جيل الغد.

وكان هذا شأنَه مع طلابه؛ يوجّهُهم، ويرعى شؤونَهم ليس أستاذاً فقط بل وهو دبلوماسيّ أيضاً؛ فقد حدث أنه عندما كان سفيراً لسورية في يوغوسلافيا، لفت

نظرَه وضعُ طالبٍ متفوّقٍ يدرسُ هناك، قد تراجع ترتيبُه...؛ يقول الطالب: «كنتُ من الطلاب الأوائِل في الجامعة في السنتين الأولى والثانية؛ وبعدها توفّي والدي، واضطررتُ للعمل لمتابعة دراستي، وفوجئتُ في يوم برسالةٍ من السفارة تستدعيني لمقابلة السفير شخصياً».

استقبلني السفيرُ بلطف، وقال:

- إنّني بحكم عملي أستاذاً في الجامعة؛ أحرص كلَّ الحرص بصفتي سفيراً على دراسة أحوال طلبتنا هنا في الجامعة، وقد لفت نظري أنّكَ كنتَ متفوّقاً، ومن الأوائل، وأرى وضعك الآن سيّئاً فما الأمر؟ قلت:

- لقد تُوفّي والدي...، وأنا اليوم أعملُ في أحد المطاعم ليلاً.

نظرَ إليّ، وقال: اتركْ هذا العملَ، وانتظِمْ في الجامعة، وفي يومِ الأحد عطلةِ الأسبوع، خصّصْ ساعتين من العاشرة إلى الثانيةَ عشرةَ صباحاً لتعطيَ دروساً في اللغة العربية لأولاد السلكِ الدبلوماسيّ العربيّ؛ فجميعُنا يبحث عن أستاذٍ للغة العربية».

كثيرةٌ هي المواقفُ التربويةُ في حياة الدروبي سواءٌ أكان أستاذاً محاضراً أم سفيراً أم مستشاراً ثقافياً... لا تفوتُه شاردةٌ ولا واردة؛ يتابع أمور أبنائه ومواطنيه وطلبتِه حيثما حلّ، وفي أيّ منصب كان؛ يهتمُّ بكلّ كبيرةٍ وصغيرةٍ تخصّ شؤونهم، لا يشغلُه عن رعايته لهم شاغلٌ.

الدكتور سامي الدروبي مناضلاً:

حلمُه حلمُ كلِّ عربيٍّ في تلك المرحلة؛ يريدُ لأمتِه المترامية الأطراف أن تعيدَ أمجادَها، وهذا يحتاجُ إلى نضال، والنضالُ في نظرِه لا يتجزّأُ، ويكونُ في القلمِ كما في البندُقيّة؛ وفي رأيه، الكلمةُ الشجاعةُ والجريئةُ مثل المدفعِ والبارودة؛ لهذا نراه يسخّر قلمَه للدفاع عن الوطن ويناضل ـ كما قيل عنه ـ «بسخاء شأنُه في ذلك شأنُ النهرِ الذي يفيض الخيرُ على ضفّتيه».

لم يتركْ ساحةً يناضل فيها، وهو قادرٌ عليها إلا تصدّى لها؛ سلاحُه الكلمةُ الفعّالة، ولم يترك باباً للنضال يمكنُه أن يفتحَه ويدخلَه إلا وفعل؛ فكان مناضلاً حقّاً بين كرٍّ وفرّ؛ فتراه يستحضر الأدلّةَ والبراهينَ حين يكون في موقف هجوم، ويذكرُ الحقائقَ والوقائعَ حين يكونُ في موقفِ دفاع. وهو بين هذا وذاك يعملُ استعداداً

لبناء مستقبلٍ مشرقٍ لوطنِه، والرفعِ من شأنه.

شهد الدروبي مرحلةَ الانتداب الفرنسيّ على سورية، فسلبها سيادتَها وحريّتَها بعد تركةٍ عثمانيّة عشّش فيها الفقرُ والجهلُ والتخلّف، وكانت ثانويةُ دمشقَ ومعاهدُ دراسيّةٌ أخرى قليلةٌ مصدراً رئيساً من مصادرِ تحريكِ الضميرِ الوطنيّ والقوميّ؛ فكان مع رفاقه يعمل على مهاجمةِ المستعمرِ وكشفِ نواياه الخادعة، وما يخفيه للسيطرةِ على سيادة البلاد بحُجّة نشر العلمِ وفتحِ دروب التقدّم، وغدت مهمّةُ تحريرِ الوطن من مخلّفات الاحتلالِ العثماني والاستعمارِ الغربيّ هدفاً متغلغلاً في وجدانه.

جعل من مهنة التعليم وسيلةً لترسيخِ الهويةِ العربية بين الأجيال، الهوية التي حاولوا طمسَها وتغييبَها في مجموعاتٍ دينيةٍ وطائفيةٍ ومذهبيةٍ وعرقيّةٍ، واتخذ

من عملِه سفيراً لسورية في بلدانٍ عدّة سبيلاً لغرس روح المقاومة من أجل السيادة، وتنميةِ الشعور القومي العروبي، وزرعِ فكرةِ الوحدةِ على امتدادِ الأرض العربية، والتي ظهرت بأشكال من التضامن والتعاطف بين الأقطار العربية عندما تحلُّ مصيبةٌ بأيّ منها .

حمل لواءَ النضالِ من أجل الحرية والاستقلال ليس في سورية وحدها؛ بل على نطاق الوطن العربيّ... حيث شكّل مع بعض رفاقِه وأستاذين من أساتذتِهم ـ عندما كان يتابع دراسته في مصر ـ نواةً لمجموعة مثقّفةٍ ساندت الشعبَ العراقيَّ في ثورتِه عام ١٩٤١م من أجل استقلال العراقِ وحريتِه، وتولّت جمعَ التبرعات، وقامت بحملة الإعدادِ للتطوّع لمواجهة المستعمر البريطانيّ، وشكّل في أثناء دراسته في باريس حلقةً حزبيةً لدعم الثورةِ الجزائريةِ على المستعمر الفرنسي عام ١٩٥٤م

من أجل الاستقلال، وأجرى اتصالاتٍ مع الجزائريين الموجودين في فرنسا بخصوص ذلك.

عمل في الحقل الإعلامي في أيام العدوان الثلاثي على مصرَ الذي شنّته بريطانيا وفرنسا والكيانُ الصهيونيّ عام ١٩٥٦م، وكان عددُ العاملين في الإعلام قليلاً جداً؛ إذ قرّر حزبُ البعث الذي كان ينتمي إليه تحويلَ جريدةِ البعثِ من صحيفةٍ أسبوعيةٍ إلى يوميةٍ لمتابعة أخبار الحرب، وكُلّف الدروبي مع اثنين من رفاقه هذه المهمّة؛ فكان يذهبُ إلى الإذاعة ليستمعَ من المذياعِ الممتاز هناك إلى الأخبار العالمية، ويعلّقَ على الحوادث مع الأستاذ نجاة قصاب حسن، فيقوم بدور وكالاتِ الأنباء؛ يترجمُ ما يسمعُه من أخبار باللغة الأجنبية ليعودَ إلى مقرّ الجريدة، ويعطي المعلوماتِ للعاملين فيها، ولا يعودُ إلى البيت إلا والجريدةُ بيده؛

فرفع مستوى الإعلامِ في سورية آنذاك.

لم يكن التحرُّر من الاستعمار في نظره كافياً للنهوض بالوطن؛ لأنّ التحرّرَ بحسب رأيه يعني التحرّر من تبعاتِ المستعمرِ، وما خلّفه من جهلٍ وخرافات وأكاذيب، وضرورة إيجادِ حلولٍ لقضايا اجتماعيّة تخصّ العمالَ والفلاحين والفقراء، وتعملُ على تحرير الشعب من ظلم الإقطاعِ، ومن مظاهرِ التخلّف، وفتحِ الأبواب لنشر العلم...، ووجد الحلَّ لكلّ هذه القضايا بالانتساب إلى حزب البعث، ورأى في مبادئه «الوحدة والحرية والاشتراكية» سبيلاً لتحقيق أهدافِه وغاياته؛ فكان من المؤسّسين لهذا الحزب، والداعين إلى مواجهة الحكوماتِ الرجعية المرتبطة بالمستعمر التي عملتْ على اضطهاد طبقاتِ الشعب الكادحة والفقيرة واستغلالها؛ ما عرّضَه للسجن مع عددٍ من رفاقه في عهدِ الرئيس

أديب الشيشكلي، وبقي في السجن طيلةَ عهده، فلم يزدْه السجنُ إلا إصراراً وصلابةً أمام القوى الرجعيّة.

استمرّ الدروبي في العملِ على نشر الوعي بروح العصر والثقافة العالمية، ورأى أن الأمَّة العربيةَ تمرّ بعهدِ النهضة الثانية؛ فكان اهتمامُه بالترجمة؛ ذلك أن العصرَ العباسيّ قد مثّل عصرَ النهضةِ الأولى بالترجمة من العربية وإليها، وعليه فإنّ القرنَ العشرين برأيه يشكّل تتمةً لتلك المرحلة؛ فجاءت ترجماتُه مادةً لثقافةٍ جديدةٍ تنهل منها الأجيالُ، وتستمدُّ غنى الفكر وأصالةَ الروح.

أراد الدروبي لوطنه أن يتقدّم ويتطوّر، وذلك لا يكون بالكلام أو بالشعارات؛ إنّما بالإنسانِ الذي هو مصدرُ التقدّم، فشنّ حرباً على الجهل عندما كان معلّماً ووزيراً للتربية، ووضع خططاً لنشر التعليم على

كامل الجغرافيا السورية ريفاً ومدينة، وعمل على بناء إنسانٍ جديدٍ، وعلى تسليحه بالعلم والأدب والفن، وإغنائه بالثقافة ليكون قادراً على حملِ لواءِ السير في طريق البناء والتقدّمِ.

لم يفوّت فرصةً أو مناسبةً يناضلُ فيها إلا وكان حاضراً؛ ففي حرب السادسِ من تشرين الأول عام ١٩٧٣م على الكيان الصهيونيّ وحينما كان سفيراً في إسبانيا جعل من بهوِ السفارةِ السورية مركزاً للتبرّع بالدم بإشرافِ الصليب الأحمر، وشجّع على اللقاءات والمؤتمراتِ الصحفية، وأفسح المجالَ لإيصال وجهةِ النظرِ العربية السورية...؛ فحين زاره وزيرُ خارجيةِ إسبانيا في مقرّه في السفارة السورية، طَلب إليه الدروبي أن يصدرَ بياناً يُبيّن فيه موقفَه من الحرب؛ لكنّ الوزيرَ الإسبانيّ اعتذر بحُجّة أن تبقى إسبانيا

على الحياد لتؤدّي دور الوسيط، فردّ على الفور:

- ها هي فرنسا لها تمثيلٌ مع ما يُسمّى إسرائيل، ومع ذلك فقد أصدر وزير خارجيّتها بيانَ إدانة.

وتابع محذّراً...

«إذا بقيت إسبانيا على موقفها من تجاهل العدوان، ولم تصدر بياناً تبرز فيه تأييدَها للعرب، فسوف يعاد النظرُ بالصداقةِ الإسبانيةِ وبمصالحِها على كلّ المستويات العربية، وليس على المستويين السوريّ والمصريّ فحسب»...

وبعد انتهاءِ الزيارةِ بساعتين صدرَ البيانُ من الخارجية الإسبانية بإدانةِ «إسرائيل».

أكثرُ ما شغله في عملِه الدبلوماسيّ قضيةُ فلسطينَ فحملها في قلبه، وآمن بها قضيةً عربيةً، وكثيراً ما

تصدّى للحملاتِ الصهيونية التي عملت وتعملُ ضدَّها بقوة...، ووصلَه أنّ عدداً من اليهود الإسبان المؤيّدين للصهيونيّة، انتسبوا إلى مدرسةٍ سياحيّةٍ في غرناطة وبهؤلاءِ الأدلّاء السياحيين، يجري العمل على تشويه تاريخِ العربِ وتراثِهم الحضاريّ في جوانبه كافّة وتحويلِه إلى مجال للاستهزاء والسخرية؛ فكانوا يعملون على تشويه صور الحكام العرب آنذاك، ويركّزون على انغماسِهم في العبث واللهو وانشغالِهم بالجواري، ويصرفون النظرَ عن اهتمامِهم بأنواع العلومِ والفكرِ والعمران...

ردّاً على ذلك رفع الدروبي توصيةً إلى الأمانةِ العامة للجامعة العربية بخصوص افتتاح مدارسَ سياحيةٍ في غرناطةَ وإشبيليةَ وقرطبةَ؛ يُدرَّسُ فيها التراثُ العربيُّ من دون تشويه؛على أن يُشارَ إلى جوانب التفوّقِ

الحضاريّ بشكلٍ عام، وفي علوم الفيزياءِ وفنّ الهندسةِ المعماريةِ بشكل خاص؛ وأنه في الوقت الذي لم ينتبه فيه المهندسون في الغرب لأهميّة مكبّراتِ الصوتِ والحمّاماتِ ودوراتِ المياه في أثناء بناء قصورِهم انتبه المهندسون العربُ لأهميّتها في إشادةِ مبانيهم ومساجدِهم وقصورِهم في الأندلس.

بهذا الإيمان والإصرار كان يدافع عن أية قضية من قضايا وطنه الصغرى والكبرى... ياله من مناضل ومقاوم على جميع الجبهات! سلاحُه الكلمةُ الفعّالة والثقافة المدعومة بالأدلة والبراهين المُقنِعة...

وحينما عُيّن سفيراً في الفاتيكان في أثناء حربِ تشرينَ التحريريةِ، زارَه وزيرُ خارجية الفاتيكان قبل أن يقدّم أوراق اعتماده لقداسة البابا، ولفت نظرَ الدروبي ـ بلطف ـ إلى عدم التطرّقِ للقضيةِ الفلسطينية،

وانعكاساتِها على الشعب الفلسطيني نساءً وأطفالاً وشيوخاً؛ لأنّ قداسةَ البابا، سيردٌّ بكلمةٍ من روح كلمة الدروبي، وأكّد أنّ الفاتيكان يرغبُ في أن يكونَ حياديّاً



الدكتور سامي الدروبي مع بابا الفاتيكان

وغيرَ متحيّزٍ لخصوصيّةِ شخصيّةِ البابا الروحانية العالمية؛ إلا أنّ الدروبي ردّ عليه بقوله:

- «إنّ لبلادي قضيةً، ومن واجبي أن أوضحَ هذه القضيةَ لقداسته لما يتمتّعُ به من تأثيرٍ عالميّ، وإذا كان الأمرُ غيرَ مرغوبٍ فيه فلا مانعَ من تأجيل موعدِ تقديم أوراقِ الاعتماد ....، ريثما أرجع إلى حكومتي التي انتدبتني لهذا الموقف».

وجاءه الجوابُ بعد ساعتين فقط؛ أنّ الدبلوماسيةَ الفاتيكانيةَ ترى أنّه لا داعيَ للتأجيل، وقدّم أوراقَ الاعتماد، ولمّا حدّث قداستَه عن أطفالِ فلسطينَ الذين هُجِّروا، وشُرّدوا، وتركوا بيوتَهم ومزارعَهم، وهم يسكنون تحت الخيامِ، هطلت الدموعُ من عينَيه، وهو يتصوّر وضعَ اللاجئين أطفالاً وشيوخاً.

وفي حرب حزيرانَ عام ١٩٦٧م حينما انقطع المصروفُ عن عددٍ لا يستهانُ به من الطالبات الفلسطينيّات في مصرَ، نراه لا يتجاهلُ الأمرَ، ولا يلتزمُ الصمتَ؛ بل يسرعُ للاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر يشرح له الموضوعَ، ليصدرَ الرئيس بعد ذلك قراراً باعتبار الطالباتِ بحكم الموفداتِ المصريّات، فتُغطّى مصاريفهُن ريثما تعود الأحوالُ إلى طبيعتها .

هذا هو شأنه تجاه قضايا بلاده؛ لا يتوانى ولا يؤجّلُ عملاً، حاضرٌ دائماً، مستنفرٌ كجندي على الجبهة؛ سلاحُه ذهنيةٌ متّقدة، وأفكارٌ مبتكرة.

الدكتور سامي الدروبي

ومفهوم العروبة والوحدة العربية

لم تكن فكرةُ العروبةِ واضحةً في أذهان الشعب العربي عامةً في تلك المرحلة التاريخية؛ فقد عملتِ السلطنةُ العثمانية طيلة /٤٠٠/عام على ترسيخ فكرةِ الانتماء إليها برابطةٍ دينيةٍ تحت مُسمّى الخلافة، وعلى تغييبِ فكرةِ العروبةِ عن أذهان العربِ عامةً، وفي مصرَ خاصة... إلى درجة أنّ السوريّين في البرازيل وفي دول أمريكا اللاتينية، كانوا يُسمّون هناك باسم «تركو»...

أمامَ هذا الواقعِ المرير الذي ذابت فيه الهوية السورية بالهوية التركية، وغابت فيه حقائقُ كثيرة زمنَ الوحدةِ بين مصرَ وسورية، تمّ اعتمادُ سياسةِ الاهتمام بالجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، وعُيِّن الدروبي مستشاراً

ثقافياً في سفارةِ الجمهوريةِ العربية المتحدة في البرازيل؛ فبادر إلى الاتّصال بأبناء الجالية السورية هناك، وراح يعمل لربطهم بهويتهم السورية، وبوطنهم الأم سورية؛ فركّز على إيضاح فكرة أنّ تركيا ليست إلا دولةً غازيةً احتلّت سورية في مرحلةٍ تاريخيةٍ مضت، وأنّ سوريةَ دولةٌ لها كيانٌ مستقلّ، تحرّرت من السيطرة العثمانية، وأن أبناءَها يحملون جنسيتَها ... وأصبح السوريون في البرازيل ـ منذ ذلك الوقت ـ يعتزّون بعروبتهم وانتمائهم إلى وطنهم الأمّ سورية.

بدأ الدروبي نشاطَه من أجل فكرة العروبة منذ أوفدَ لمتابعة دراستِه في مصرَ مع غيرِه من الطلاب العرب في الأربعينيّات من القرن العشرين، ولم يكن الأمر سهلاً؛ فقد كان الشبابُ المصري في تلك المرحلة تلامذةً لجيل القوميةِ المصرية، وكانت الأناشيدُ الوطنيةُ لا تحمل غيرَ

اسمِ مصرَ الفرعونيةِ، وكانت خطبُ زعماءِ مصرَ ضدّ الاحتلال الإنكليزي تتجاهلُ ما يتّصلُ بالعرب والعروبةِ، ولا تذكرُ إلا اسمَ مصرَ، وكان الطلبةُ حينذاك يعتزّون بأجدادهم الفراعنةِ، وهدفُهم أن يبعثوا أمجادَ مصرَ القديمةِ في دولةِ مصرَ الحديثةِ متجاهلين تواصلها مع غيرها من الدول العربية في مظاهرَ عديدة، لكنّه بيّن أنّ ما يمارسُهُ المصريون من عاداتٍ يقيمونها في الأفراح والمآتم والموالدِ الدينيةِ، هي عاداتٌ مشتركةٌ في كلّ البلادِ العربيةِ، وليست خاصة بمصرَ.

في ظلّ هذا الواقع، لم يكن من السهل إقناعُ الشباب المصريِّ بأنه جزءٌ من وطنٍ كبير يحمل رسالةً إنسانيةً، وأنّهم شعبٌ من أمّةٍ أكبرَ هي الأمة العربية، وأنّ لهم دوراً يختلفُ عن دورِ مصرَ القديمةِ؛ فما العمل؟

وضع سامي الخطةَ عندما كان موفداً للدراسة في

مصرَ؛ فأنشأ مع الطلاب العربِ في الجامعة فكرةَ «جماعة الطلبة العرب»، بينهم طلابٌ من سورية والعراق والسودان وقلّةٍ من المصريّين، ولم يكن يُسمَح لهم إلا بأنشطةٍ رياضيةٍ أو ترفيهية أو ثقافيةٍ... فسارع مع جماعته إلى ممارسة نشاطِهم بالمحاضرات والندوات كما تفعل كلُّ الجمعياتِ الثقافيةِ، واستدعى عدداً من المفكّرين المعروفين ليحاضروا في موضوعاتٍ تتّصلُ بالعروبة وبحاضرِ الوطنِ العربيّ، وبفكرة الوحدةِ العربيّة، وتمّ التركيز فيها على وحدة الثقافةِ العربيةِ التي تجمعها لغةٌ واحدة.

وكان لهذه الجماعةِ التي شكّلها الدروبي من الطلبة العربِ فضلٌ لا يُنكرُ في إثارة دعوةٍ للعروبة بين الشباب المصري في الجامعة، في وقتٍ لم يكن لهذه الدعوة تنظيمٌ يدعمها، وكان لها فضلُ التعارف الوثيقِ بين

شبابٍ عربيٍ في أقصى المغرب العربيّ وشبابٍ من أقصى المشرقِ العربي.

ينتمي الدكتور سامي إلى جيلٍ مؤمنٍ بفكرة القوميةِ العربية ووحدةِ الأقطار العربيةِ وتجسيدها حقيقةً بين الناسِ يواجهون بها الدعواتِ العنصريّةَ، ونزعاتِ التفرقةِ الدينيةِ والطائفيةِ والمذهبية التي زرعها الاحتلالُ العثمانيّ والمستعمر الغربي في محاولة لاستئصال انتماء العرب إلى ماضٍ مجيدٍ جمعَهم على امتدادِ الأرض العربية في دولةٍ واحدة؛ فالوحدةُ في نظره جامعةٌ للعرب، وحصنُهم الحصين، ودرعهم المتينُ لمواجهةِ التحدياتِ، فكان الدروبي أوّلَ من رحّب بالوحدة بين البلدين مصر وسورية في ٢٢/ شباط عام ١٩٥٨م وكان أوّلَ من غضب مستنكراً فشلَها...

ترك عمله مستشاراً ثقافياً في وزارة الثقافةِ المركزية،

وغادر مصر مباشرةً إلى سورية لينضمّ إلى صفوف المناضلين في وطنه ضدّ الانفصاليين الذين تعاونوا مع الغرب لإحباطها وسعوا إلى إسقاطها، واستمرّ في ذلك حتّى سقطت حكومةُ الانفصاليين وقامت حكومةٌ جديدة، عاد بعدها إلى مصرَ مندوباً لسورية في الجامعة العربية، ثمّ أوّلَ سفيرٍ لسورية بعد الانفصال، وقال كلمةً مؤثّرة للرئيس جمال عبد الناصر حين قدّم أوراقَ اعتمادِه أهمّ ما جاء فيها: «إنّه ليحزُّ في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي».

أحبَّ الدروبي أمتَه حبّاً عظيماً، وأحبّ تراثَها وعشق لغتها، واعتزّ بتاريخِها وتراثِها، وأراد لها أن تعودَ أمةً واحدةً، فالوحدةُ برأيه هي الأمل الأكبر في بناء حضارةٍ عربيّةٍ لها مكانةٌ بين الأممِ، وبناءِ إنسانٍ عربيّ قادرٍ على مواجهة ظروف العصر وتحدياتِه الصعبة، ومصرُ هي الأساسُ في أيّ حركةٍ بهذا الاتجاه.

قام بصفته سفيراً بزيارة عددٍ من القادة المشتغلين بالقضايا السياسية العامة في الوطن العربي، وفي لقاءاته بهم، كان يوضِحُ مفهومَ العروبةِ، ويكشف لهم أنّ الأقطارَ العربيةَ كانت في شبه وحدةٍ في عصور ما قبل الغزو الأجنبي.

أقام حفلاتِ سمرٍ لفنونٍ شعبيّة، كشفت عن روح التشابهِ الأصيل بين سكّان الوطنِ العربيّ شرقاً وغرباً مؤكّداً بذلك أنّ مزاجَ العربي وذوقَه وخيالَه مشترك، وأنّ رؤيتَه لما حوله متماثلةٌ ومتقاربةٌ على بُعد الديارِ واختلافِها، وجعل من مقرّ السفارةِ السورية في مصرَ بيتاً للمثقّفين والفنّانين وعُشاقِ الأمةِ الواحدة واللغة الواحدة، والمؤمنين بالمصير الواحد.

لم يكن يتأثّرُ بتفوّق الغرب، ولم يكن يشعرُ تجاهه بالنقص أو ما يُسمّى «عقدة الخواجة»، ومن مظاهر

ثقتهِ بالإنسان العربي أنه لم يسرعْ إلى الأطباء الأجانب في علاجه كمريض قلبٍ وهو في منصبٍ مميّز، وكانت ثقتُه بالطبيب المصري حمدي السيد تجسيداً حيّاً لذلك؛ فلم يكن يرتاح إلا لكلامه، وكان يستدعيه دون غيره أينما كان إذا اقتضى الأمر ذلك.



الدكتور سامي الدروبي مع الاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية وليبيا

وكان يرى في كلّ تقاربٍ عربيٍّ ما يثلجُ صدره، وقد بذل كلَّ جهده للتقارب بين مصر وسورية وليبيا لإعلان دولةٍ اتحادية بين الدولِ العربيةِ الثلاث، وكان عضواً في لجنة الدستور الاتحادي، وقلّده الرئيس حافظ الأسد حينها وساماً؛ تقديراً لما بَذلَ من جهدٍ في هذا السبيل.

الدكتور سامي الدروبي دبلوماسياً:

أعطى الدروبي بحسب اعتراف الكثير من الدبلوماسيين العربِ والأجانبِ بعداً جديداً للدبلوماسية العربيةِ، فمثّلَ ضميرَ أمتِه وعبقريّتَها، وقد قال عنه سفيرُ الجزائر:

«كان سفيراً للعروبةِ وللقوميةِ العربيةِ، وليس سفيراً لسورية وحدها».

تميّزَ بالصلابةِ الروحية التي كوّنت شخصيّتَه، إلى

جانب امتلاكِه زمامَ لغتِه العربية؛ فكان إتقانُه لها يساعدُه على مواجهة المواقفِ الصعبة والحرجةِ بلباقةٍ وجرأةٍ لا يخشى في بيان وجهة نظرِه أيّ ردّ فعل من أي طرف كان، ولا يسكت إذا أدرك أن سكوتَه قد يُفقدِه الثقة مع من يعمل معهم.

فقد صادف أنّ وفداً سورياً زار مصرَ بعد عهد الانفصال، وكان سامي حينها سفيراً لسورية، وفي الاجتماع ذكر رئيسُ الوفدِ في حديثِه أرقاماً غيرَ دقيقة فلم يسكت، والتفتَ إلى رئيس الوفدِ بأدب، وقال له بكلّ لطفٍ ليلفت نظرَه:

- أظنّ أنّ هذه الأرقامَ من الذاكرة.

فأجابه رئيسُ الوفد :

- نعم هي من الذاكرة، ولكنها تقريبيةٌ.

وفي نهاية الاجتماعِ تقدّم إليه السفيرُ، وقال باعتذارٍ لبق: «لم أكن دبلوماسياً حين لفتُّ نظرك، وخوفي على الثقة في عملي دفعني إلى ذلك، وها هي ورقةُ استقالتي ولكنّ رئيسَ الوفد رفضها».

أدرك الدروبي حينها أنّ سكوتَه سيفقدُه ورقةَ الثقة في عمله على التقارب وإزالةِ سوءِ التفاهم بين مصرَ وسورية الذي يسعى إليه، وهكذا كان بدبلوماسيّته الراقية يقولُ كلمتَه، ويعتذرُ إذا رأى فيها إساءةً إلى أحد.

هكذا كان في حياته، لا يساومُ على مبدأ، فقد رفض التعاونَ مع حكومةِ الانفصال على الرغم من الإغراءات، وكذلك اعتذر عن قبول طلبِ الرئيس جمال عبد الناصر ليبقى سفيراً للجمهورية العربية المتحدة على الرغم من أنّ العلاقة بينهما كانت ودّية

أكثر منها دبلوماسية...، وأصرّ على العودة أستاذاً في جامعة دمشق حيث يجب أن يكون ليعمل من أجل إعادة التواصل والتقارب بين سوريةَ ومصرَ...، وكان له دورٌ يوصفُ بأنه تاريخيٌّ وقوميٌّ متنقّلاً بين دمشقَ والقاهرة لإعادة التواصل بينهما؛ فالقضيةُ بالنسبة إليه قضيّةٌ قوميّةٌ مصيريّةٌ، يجب أن تتمّ مهما كان الثمن.

كان له ما سعى إليه بعد ثورةِ الثامن من آذارَ؛ حيث أعيد سفيراً لسورية في مصرَ، وترك منصبَه المريحَ سفيراً في بلغراد على الرغم من كلّ الإغراءات ليستأنف العملَ في مصرَ متحدياً المصاعب، وعن هذا الموقف قال الصحفي فيليب جلاب في مجلة «آخر ساعة» المصرية:

- «لم يُسجّل تاريخُ الدبلوماسية موقفاً كموقفِ الدكتور الدروبي في ظروفٍ لم تكن مواتيةً من الناحيةِ الرسميةِ؛

فقد ترك منصبَه الوادعَ في بلغراد. وفي وقت من أحرج الأوقات جاء قبولُ الدروبي دليلاً على أنّ هناك شيئاً جديداً في دمشقَ يختلفُ هذه المرّة».

الدكتور سامي الدروبي مفكّراً ومترجماً وأديباً:

كتب الدكتور سامي الدروبي حين ترجم كتابَ «مسائل فلسفة الفن المعاصر» للكاتب الفرنسي جان ماري غويو:

«إنّ الفكرَ الإنسانيّ أشبه بالسنونو؛ لم يُهيّأ جناحاه لطيرانٍ يمسُّ الأرضَ؛ بل لانتفاضةٍ جريئةٍ عاليةٍ في الفضاء الحرّ، والمهمّ أن ينهض».

هذا القولُ هو الأساسُ الذي انطلق منه فكرُ الدروبي؛ إذ كان يتطلّع إلى المثل الأعلى، لكنّه وثيقُ الصلةِ بالأرض، وقد أتاح له إتقانُه الفرنسيةَ فرصة

التحليقِ في عالَم الفكرِ والفلسفة، وتحقيق حلمِه في أن يقدّم للغة العربية فلسفةَ الجمالِ؛ أي تذوّق الجمالِ في الأدب والفنّ والحياة، فترجم كتابَ «دراسات فلسفة الجمال» بالاشتراك مع صديقيه عبد اللّه عبد الدايم وبديع الكسم.

ورأى في مقارنةٍ أجراها بين كاتبين؛ دوستويفسكي الروسي، ونيتشه الألماني «أنّ الحقيقةَ التي اكتشفها الاثنان هي أنّ في الإنسان شوقاً لتجاوزِ ذاته وتحقيق هدفه؛ إلا أنّ دوستويفسكي يرى في هذا التجاوزِ ينبوعاً للعذابِ والآلام، ونيتشه يرى فيه مصدراً للخلق والإبداع»، أمّا الدروبي فقد جمع بين الرأيين، واتخذ من الألم طريقاً إلى الإبداع، فتجاوزت ترجماتُه السبعين كتاباً في الرواية والشعرِ والفلسفة والفكر والنقدِ؛ مجدِّداً بذلك دماءَ الفكرِ العربيّ، وكان مترجماً

محترفاً لا يكتب بأسلوب الكاتب؛ بل ينقل خصائصَ أسلوبه الأصلي.

وقد جعل من الترجمة علماً وفنّاً يطّلع عليه من لا يتقنُ لغةً أجنبيةً، وجعل لها منهجاً واضحاً في الفكر والأدب، كما جعل منها رسالةً حضاريةً للأمة العربية، لم يمنعه من ذلك منصبٌ سياسيٌّ أو دبلوماسيّ؛ لأنّه أحسّ أنّ الثقافةَ العربيةَ المعاصرة بحاجة إلى قدرٍ كبيرٍ جداً من الآثار العالميةِ المنقولة بدقّةٍ إلى اللغة العربية لتكون جزءاً من المكتبةِ العربية بمستوىً حضاريٍّ راقٍ.

كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين موضّحاً ذلك: «أحبُّ أن أكتبَ عن مشروعِ الأعمال الكاملة لدوستويفسكي بأنها أحسنُ ما قرأت؛ لأنّ المترجمَ يملك ناصيةَ الفرنسيةِ والعربيةِ، وهو يترجمُ ترجمةً علميّةً مدروسة».

اختار الدروبي ميدانَ الترجمةِ عن رؤيةٍ مستقبليةٍ، وكان يصعبُ عليه ألا تكونَ هذه الكنوزُ في متناول القارئ العربيّ فلم يكلّ ولم يملّ؛ فترجم العديدَ ممّا يُعدُّ من التراث العالميّ سواء في الفلسفة أم في الأدب، والعديدَ من الأعمالِ الفنيةِ والفكريةِ إضافةً إلى الأعمال الكاملةِ لدوستويفسكي وتولستوي المترجمة إلى الفرنسية، كما ترجم ثلاثيةَ الأديبِ الجزائري محمد ديب «البيت والحريق والنول» فحقّق للكاتبِ الجزائريّ ما أراد أن يكتبَه لو امتلك اللغةَ العربيةَ بعد أن حرمه المستعمرُ الفرنسيّ لغتَه الأصلية.

ومن ترجماته التي كان لها صدى واسعٌ في تلك الفترة رواية «جسر على نهر درينا» للكاتب اليوغسلافي «إيفو أندريتش»، ولم يكن معروفاً في العالم العربي، وتأتي أهميّتُها من رصدها لمرحلةٍ تاريخية تعود إلى الفترة

الممتدة بين (١٥٧١ وحتى ١٩١٤م)، وهي الفترة التي كان فيها الوطنُ العربي يعاني من الاحتلال العثماني.

تتناولُ حوادثُ الرواية تاريخَ دولِ البلقانِ في أثناء تبعيّتها للإمبراطوريةِ العثمانية حيث بُني الجسرُ ليربطَ بين أطرافِ الإمبراطورية، ويثبّتَ دعائمَها، وكان الباشواتُ والآغوات يحكمون هذه النواحي باسم السلاطين؛ إنّه عالمُ الإنكشارية[٢] وضريبةِ الدم، وفيها نقلَ الكاتبُ صورةً عن العالمِ البلقانيّ الغريب المكوّن من كلّ القومياتِ التي كانت مجهولةً حينذاك...، كما نقل لنا صورةً عن آلام الشعب البلقاني ومعاناتِه من أوّل لحظاتِ بناء الجسر، وما تعرّضَ له هذا الشعبُ من عنفِ العثمانيين وشراستِهم، واستعرض ما ارتكبوه من جرائمَ ومجازرَ بحقّ الناس هناك، وكيف صار

---

٢ – تسمية تنسب للجيش التركي.

الجسرُ مجلساً لأهل المدينة؛ فشهدَ انحسارَ العثمانيين، وقصصَ حبٍّ، وقصصَ لقاءٍ وفراق ومآسٍ ومجازر... أتراه كانَ يهدفُ إلى إبراز وحدة معاناة الشعوب من المحتلّ العثماني، وتأكيدِ التواصلِ بين حركاتِ تحرّرها؟!

والمصادفةُ الجميلةُ - كما تروي زوجته - أنّه بعد مضيّ أشهر على ترجمة الرواية، وكان عائداً من سفره، أخبرها وكأنّه يزفّ لها بشرى أنّ: كاتب «جسر على نهر درينا» قد مُنِح جائزة نوبل للسلام، فأجابته:

- كم أنا فخورة بك وبحسن اختيارك! إنّك تأبى أن تقرأَ لنفسك، فتحرص على أن يستمتعَ معك قُرّاءُ العربية؛ ويتعرّفوا معاناةَ غيرِهم من الشعوب، وإصرارَهم على التحرّر...

ومن قصصِه المُترجمَة «الموسيقي الأعمى» للكاتب

فلاديمير كورانكو التي قيل فيها: إنّها روايُة أصواتِ الطبيعةِ، زقزقة العصافير وجدول الماء، صوتُ الناي والبيانو... وتدورُ أحداثها حول مأساةِ تلك الأمِّ التي وضعت وليدها، وصرخت: الطفلُ لا يرى... هكذا صرختْ، ثمّ رضخت للأمر الواقع، لتحيط ابنَها بالحبّ والرعاية بمساعدة عمّه المثقّف، وصديقة الطفولةِ التي كبِرَتْ، ورضيت أن تكون حبيبةً وزوجةً.

كلّ تلك العواطف لم تستطع أن تنقذَ الصغير من العتمةِ التي كان يشعرُ بها لفقدانه نعمةَ البصر، إذ كانت النوباتُ العصبيّةُ تزوره بين حينٍ وآخر إلى أن أوجدَ لحياتِه معنى، فسعى إليها، ونجح في التقاطِ الأصواتِ والعزف وطريقِ الوصولِ إلى السعادة، وهو الهدفُ الذي يرمي إليه الكاتب، ويرى أن يوجدَ الإنسانُ لحياته معنى، فهو أمرٌ ضروريٌّ للإنسان كما التحليقُ للطيور.

وكما ذكرت زوجتُه أنّه كان ـ حين ترجمتها ـ مريضاً، فكان يملي عليها وهي تكتب، وقد أسعَده أن تعتمدَها وزارة التربية في سورية مقرّراً دراسياً في منهاج الصفّ التاسع، وعدّ ذلك أجراً كبيراً؛ إذ إنّها ستدخل بيت (٢٧٥) ألف تلميذٍ في الإعدادية آنذاك. وأسعدَه كذلك أن تسارعَ السينما العربيةُ للإفادة من أعماله، فتتبنّى رواية الأخوة الأعداء، فتظهر على الشاشة العربية فِلماً سينمائياً.

ومن الأمور التي كانت تشغلُه كثيراً، هي كيف يمكن أن يصلَ الكتابُ إلى أكبر عددٍ من القرّاء لاسيّما ذوي الدخلِ المحدود بأقلّ سعرٍ ممكن، ولتحقيق هذه الأمنيةِ في نشر الثقافةِ، عمل على دراسة مشروعِ «كتاب الجيب العربي»، وتحقّقت أمنيتهُ قبيلَ وفاتِه؛ حيث تبنّت وزارةُ الثقافةِ السورية المشروعَ، وعملت على إقراره.

وظلّ الدروبي إلى آخر عمرِه يعتزُّ بأنّه كاتبٌ وأديبٌ إضافة إلى عمله سفيراً، ولذلك قال له الرئيسُ اليوغوسلاي في حين قلّدَهُ وساماً: «إني أُقلّدُك هذا الوسامَ لا كسفيرٍ فحسبُ؛ بل ككاتبٍ وأديب».

الدكتور سامي الدروبي إنساناً:

كلُّ مَن عرَفه رأى فيه إنساناً حضاريّاً دائم الانضباطِ بمواعيده، بالغَ التقيّد بها، يتعاملُ مع الزمن بوصفه قيمةً حضاريةً وماديةً...؛ فقد كان شعلةً متّقدةً بالعاطفة والذكاء، يثيرُ الحُبّ حوله، ونموذجاً فذّاً للإنسان المثقفِ المؤمن بأن تكونَ له رسالةٌ تنفعُ المجتمعَ الذي يعيش فيه، وكان حريصاً على خدمته، يؤمنُ بوجوب التعاون مع الآخر والإفادة منه، واستثمار الوقت في العمل لا النزاع، وله في ذلك مواقفُ ومواقف.

وكان صبوراً على المصائب التي واجهتهُ بقسوةٍ؛ الأولى وأهمُّها على الإطلاق؛ وفاةُ ابنته الرائعة سلمى في الثانيةَ عشرةَ من عمرها اختناقاً بالغاز في حمّام منزلِ الأسرة بدمشقَ، والثانيةُ كانت مرضَ القلب الذي عانى منه عشرَ سنوات؛ فلم يغرق في الحزن بل كان يتحدّى الموتَ بالعمل، وظلّ يُنتجُ وقلبُه ينزفُ قطرةً قطرةً إلى آخر رمقٍ في حياته، وكان قوياً بذلك، ونبيلاً في حياته وثقافته وسلوكه مع الدنيا والناس.

تميّز بتواضعِه، فلا يُظهرُ تفوّقَه عمداً على أحد، ولا يرغب في الانتصار على الضعيف؛ بل يعمل على مساعدته ليرفعَ من قدره وقدرته ليسيرَ بنجاح، ولم تُبعده المناصبُ عن فطرته السليمة وحبّ أصدقائه. وروي عنه أنّه حين كان وزيراً للتربية دخل عليه أحدُ رفاقِ الدراسةِ فحيّاه قائلاً:

- «صباح الخير سامي بيك».

فدُهش الوزيرُ، وحدّق بصاحبه، وقال:

- يا رجل! قل إن شئت «سامي ـ أبو مصباح...» لا يجوز أن يميّزَ بين اسمَينا أيٌّ لقب.

وأجلسه إلى جانبه، وحدّثه حديثَ المشتاق إلى أيام الدراسة، وإلى رفاقه في المدرسة.

أكثر ما ميّزه حبُّه لأمّته ولأبناء وطنه إلى درجة أنّه أهدى مكتبتَه إلى طلاب جامعة دمشقَ التي عمل فيها أستاذاً لعلم النفس مدّة سبعةَ عشرَ عاماً، ولمّا عرضَ موضوعَ المكتبةِ على الدكتور شاكر فحام وزير التعليم العالي آنذاك عاتبته زوجتُه، ولمّحت إلى أنّها من حقّ أولادِه، فأجابها بأنه لن ينسى كم كان يشقى للحصول على كتبه حين كان طالباً لندرتها وغلاء ثمنها! وأكّد أن طلابَه في الجامعة أولادُه بالروح.

أخيراً يمكن القول: يبقى الدكتور سامي الدروبي واحداً من الرعيل الذين توزّعوا على مختلف الأنشطة الثقافيةِ والدبلوماسيّة والفكريّة والاجتماعيّة في الأربعينيّات من القرن العشرين؛ مرحلةِ الاستقلالِ وما بعدها...

قدّم الكثيرَ لوطنه ولأبناء القومية العربية، وأفنى عمره من أجلهم مفكّراً ومترجماً ودبلوماسياً وأديباً مبدعاً، وسيبقى خالداً في تاريخ أمّتِه، وتاريخ الفكرِ العربيّ، وسيبقى كما قال فيه الدكتور هاني الراهب:

«سامي نيزكٌ لا ينطفئُ... يضيء باستمرار» للأجيال العربيّة القادمة.

مؤلّفات الدكتور سامي الدروبي، وترجماته

أوّلاً: مؤلّفاته:

١- علم النفس ونتائجه التربويّة، تأليف: سامي الدروبي بالاشتراك مع حافظ الجمالي.

٢- دروس علم النفس، تأليف: سامي الدروبي، سمير الدروبي.

٣- الموجز في علم النفس، تأليف: سامي الدروبي، عبد اللّٰه عبد الدائم.

٤- علم النفس والأدب: معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان، تأليف: سامي الدروبي.

٥- علم الطباعة: المدرسة الفرنسية، تأليف: سامي الدروبي.

٦- الرواية في الأدب الروسي، تأليف: سامي الدروبي.

ثانياً: ترجماته:

- الترجمات في الفلسفة:

١- المجمل في فلسفة الفن، تأليف: بندتو كروتشه، ترجمة: سامي الدروبي.

٢- منبعا الأخلاق والدين، تأليف: هنري برغسون، ترجمة: سامي الدروبي، عبد اللّه عبد الدايم.

٣- مسائل فلسفة الفن المعاصر، تأليف: ج.م.جويو، ترجمة: سامي الدروبي.

٤- الطاقة الروحية، تأليف: هنري برغسون، تعريب: سامي الدروبي.

٥- الضحك: بحث في دلالة المضحك، تأليف: هنري برغسون، ترجمة: سامي الدروبي، عبد اللّه عبد الدايم.

٦- الفكر والواقع المتحرّك، تأليف: هنري برغسون، ترجمة: سامي الدروبي.

- الترجمات في التربية وعلم النفس:

١- المعلم العربي: إعداد المربي، تأليف: روجه كوزينة، ترجمة: جميل صليبا، حكمة هاشم، سامي الدروبي.

٢- علم النفس التجريبي، تأليف: روبرت س. ودروث، ترجمة: سامي الدروبي.

٣- سيكولوجية المرأة، تأليف: ج. هيمانس، ترجمة: سامي الدروبي.

- **الترجمات في الأدب:**

١- وقائع مدينة ترافنك، تأليف: إيفو آندريتش، ترجمة: سامي الدروبي.

٢- جسر على نهر درينا، تأليف: إيفو آندريتش، ترجمة: سامي الدروبي.

٣- بطل من هذا الزمان، تأليف: ميخائيل ليرمنتوف، ترجمة: سامي الدروبي.

٤- كونكاس بوربا، تأليف: ماشادو دي أسيس، ترجمة: سامي الدروبي.

٥- الموسيقي الأعمى، تأليف: ف. كورولنكو، ترجمة: سامي الدروبي.

٦- لحن كرويتزر، تأليف: ليو تولستوي، ترجمة: سامي الدروبي.

٧- الأعمال الأدبية الكاملة (١٨) مجلداً، تأليف: دوستويفسكي، ترجمة: سامي الدروبي.

٨- الطفولة – المراهقة – الشباب الأعمال الأدبية الكاملة؛ مجلد١ ، تأليف: ليو تولستوي، ترجمة: سامي الدروبي.

٩- أقاصيص سيباستوبول وغيرها الأعمال الأدبية الكاملة؛ مجلد٢، تأليف: ليو تولستوي، ترجمة: سامي الدروبي.

١٠- القوزاق وقصص أخرى الأعمال الأدبية الكاملة؛ مجلد٣، تأليف: ليو تولستوي، ترجمة: سامي الدروبي.

١١- الحرب والسلم الأعمال الأدبية الكاملة؛ مجلد٤، تأليف: ليو تولستوي، ترجمة: صياح الجهيم، سامي الدروبي.

١٢- ابنة الضابط، تأليف: الكسندر بوشكين، ترجمة: سامي الدروبي.

- الترجمات في العلوم السياسية:

١- مدخل إلى علم السياسة، تأليف: موريس دوفرجيه، ترجمة: جمال الأتاسي، سامي الدروبي.

٢- معذبو الأرض، تأليف: فرانز فانون، ترجمة: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، تعليق سليمان الخش.

المحتوى

بثينة أحمد الخيّر

- حائزة على إجازة في اللغة العربية وآدابها، ودبلوم في التأهيل التربوي - جامعة دمشق.

- عملت مدرّسة في ثانويات دمشق ودار المعلمين - قسم اللغة العربية، ثمّ موجّهة أولى لمادة اللغة العربية في وزارة التربية، فرئيسة لدائرة المناهج و التوجيه فيها .

- عضو لجنة التمكين العليا للغة العربية.

- أشرفت وشاركت في تأليف وثيقة المعايير الوطنية لمادة اللغة العربية لمرحلة التعليم قبل الجامعي، وفي تأليف مناهج مادة اللغة العربية لمرحلتي التعليم الأساسي والثانوي.

- أعدّت وقدّمت دروساً تعليمية متلفزة.

- نشرت مقالات ثقافية أسبوعية في مجلة المعلم العربي، وفي جريدة الوحدة في اللاذقية.

صدر من سلسلة «أعلام ومبدعون»

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	حنّا مينة	د. شوقي المعري
٢	سهيل عرفة	محمود يوسف
٣	محمد الفراتي	أسعد الديري
٤	عزيزة هارون	عيسى فتوح
٥	جودة الهاشمي	د. هشام الحلاق
٦	تيسير السعدي	وفيق يوسف
٧	أمين بن عبد العزيز الخياط	أحمد المفتي
٨	د. مسعود بوبو	د. محمد قاسم
٩	د. عبد الكريم اليافي	جمانه نعمان
١٠	النهضوي الزهراوي	خليل البيطار
١١	محمد وليد مارديني	إيمان مارديني
١٢	عبد الرحمن الكواكبي	محمود يوسف
١٣	نديم محمد	منذر يحيى عيسى
١٤	قمر كيلاني	لينا كيلاني
١٥	محمد الماغوط	ناظم مهنا
١٦	الدكتور سامي الدروبي	بثينة الخير